إدارة الموهبة والموهوبين

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 15 يناير 2017

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

في العالم العربي كل الأحاديث التي تدور في الموضوعات المتعلقة بمجال الإبداع والموهبة والتفكير يمكن أن يعد من الموضوعات الحساسة وخاصة للمؤسسات التربوية والتعليمية، فهو حديث ذو شجون، لماذا ؟

الموهبة – كما أفهمها – هي قدرات وإمكانيات خاصة موجودة في ذات الشخص، ربما مرتبطة بتكوينه الشخصي، وقد تكون موجودة في أشخاص آخرين ولكنها حتمًا لا تكون نفس الموهبة.

وكلمة موهبة مأخوذة من الفعل (وهب) أي أعطى شيئًا مجانًا، فالموهبة إذن هي العطية للشيء بلا مقابل.

ومعنى كلمة «موهوب» في اللغة هو الإنسان الذي يُعطى أو يُمنح شيئًا بلا عوض، ويطلق لفظ الموهوب على القسم العالي جدًا من مجموعة المتفوقين الذين وُهبوا الذكاء الممتاز، كما أنهم يبدون سمات معينة غالبًا، إذ تجعلنا نعقد عليهم الأمل في الإسهام بنصيب وافر في تقدم أمتهم، وقيل في تعريف الموهوب إنه الطفل أو بالأحرى الإنسان الذي يبدي بشكل ظاهر قدرة واضحة في جانب ما من جوانب النشاط الإنساني.

ويعرف كارتر جول الموهبة بأنها «القدرة في حقل معين، أو المقدرة الطبيعية ذات الفاعلية الكبرى نتيجة التدرب مثل الرسم والموسيقى ولا تشمل بالضرورة، درجة كبيرة من الذكاء العام». وفي عام 1972 تبنى مكتب وزارة التربية والتعليم الأمريكية تعريف ميرلاند الذي يقول فيه عن الموهوبين «إن هؤلاء الأطفال الذين يملكون قدرات وإمكانيات غير عادية تبدو في أدائهم العالي المتميز والذين يتم تحديدهم من خلال خبراء متخصصين مؤهلين ومتمرسين، وممن لا تخدمهم مناهج المدارس العادية وبحاجة إلى برامج متخصصة ليتمكنوا من خدمة أنفسهم ومجتمعهم». ويجد مكتب التربية والتعليم أنها تشمل مجالات الأداء العالي المتميز (مجالات الموهبة) واحداً أو أكثر من المجالات التالية:

- القدرات العقلية العامة: المعلومات العامة، القدرة اللغوية (التجريد والمعنى للمفاهيم)، القدرة على الاستدلال... الخ.
- القدرة الأكاديمية المتخصصة: قدرات عالية في اختبارات التحصيل الدراسي في الرياضيات أو اللغة.
- القدرة القيادية: القدرة على حل المشكلات، ارتفاع مستوى الثقة بالنفس وتحمل المسؤوليات والتعاون، الميل إلى السيطرة، القدرة على التفاوض، القدرة على توجيه الآخرين وسياستهم.

- **القدرة الإبداعية والابتكارية: وهي القدرة على إنتاج العديد من الأفكار الجيدة أو تجميع العناصر التي تبدو متنافرة.**
- **المهارات الفنية أو الأدائية: وتشمل هذه المواهب الخاصة في مختلف الفنون كالرسم والأدب والخطابة والشعر... الخ.**
- **قدرات النفس الحركية: وتشمل الاستخدام الماهر لقدرات النفس الحركية أو المهارات المكانية أو الجسمية.**

إذن يمكننا أن نلخص مفهوم الموهبة أنها هبة عقلية أو جسمية يتميز بها أفراد عن غيرهم من الناس، وهذه الهبة تجعلهم قادرين على تحقيق النجاحات المناسبة لقدراتهم، والموهبة استعداد فطري يُنعم به الخالق سبحانه وتعالى على فئة قليلة من عبادة يمكنهم إن وجدوا العناية والرعاية الامتياز والتفوق بشكل غير عادي في مختلف مجالات الحياة بحيث يبرز منهم صفوة العلماء والمفكرين والمبتكرين والمخترعين. كما أن الموهبة تكون في بداية الحياة استعداداً كامنًا يمكن أن ينمو وينضج مع نمو وتطور الفرد في مراحل حياته الأولى إن وجدت البيئة الصالحة التي ترعى نموها وتتعهد بروزها إلى أن تصل إلى مرحلة الإنتاج والعمل فتحقق تفوقًا ملحوظًا.

فالموهوب – إذن – هو ذلك الشخص الذي يوجد لديه استعداد أو قدرة غير عادية أو أداء متميز عن بقية أقرانه في مجال أو أكثر من المجالات التي يقدرها المجتمع وخاصة في مجالات التفوق العقلي والتفكير الابتكاري والمهارات والقدرات الخاصة ويحتاج إلى رعاية

تعليمية خاصة لا تستطيع المدرسة أن تقدمها له في منهج الدراسة العادية.

أنواع وأقسام المواهب

منذ أن تبلورت فكرة الموهبة والمواهب، قام العلماء بتنظير وتقسيم هذا المصطلح ودراسته بشتى الطرق، ونحن هنا لا نريد أن نتحدث كثيرًا عن كل تلك المجالات ولكن الذي يهمنا في هذه الجزئية من المقال أن نتحدث عن أنواع وأقسام المواهب، وفي هذه الجزئية تحدث الكثير من العلماء وكل عالم أضاف ولخص ومسح من هذا وذاك، ولكني وجدت أن التقسيم الذي سأرده لاحقًا من أعجب التقسيمات التي قرأتها أثناء بحثي في هذا الموضوع، حيث تقسم المواهب إلى الفئات التالية:

أولاً: الطبيعية الترفيهية أو الظاهرة؛ فهي طبيعية لأنها لا بد أن تتخذ لها أدوات مادية من الطبيعة، وظاهرة لأنها على السطح يَسهُل اكتشافها مثل موهبة الرسم أو الغناء أو المهارات الفردية في الألعاب الرياضية، وأصحاب تلك المواهب في العادة يُعلنون عن أنفسهم بصورة أو بأخرى، إلا إذا تم إهمال مواهبهم تلك في بدايتها أو وأدها في المهد في السنوات الأولى من حياة الطفل، فهي بالطبع في حاجة إلى الكشف المبكر بهدف الرعاية.

ثانيًا: النسبية العملية أو الخفية؛ وهي التي لا يمكن اكتشافها عادة إلا بالاحتكاك مع الآخرين، وخاصة في المدارس أو الفصول الدراسية، لذلك فهي تتحدى المتخصصين أو المُعلمين، وهي نسبية لأنها تتناسب مع الموقف وأفراد المجموعة.

والمواهب النسبية العملية أو السمات الشخصية الخاصة وهي خفية أحيانًا بالكلية على جميع من حول صاحبها، مثل الابتكار أو عمق التفكير، أو الألعاب الذهنية، أو الكاريزما أو تكون خفية جزئيًا بمعنى على الجميع إلا أقرب الأقرباء والأصدقاء مثل التعاون، الإيثار.

بل إن بعض المواهب الجوهرية الخفية تصل أحيانًا درجة خفائها إلى أن تصبح خفية حتى على صاحبها ولا يعلم أنه يمتلك تلك المواهب أو هذه القدرات التي تكون كامنة بداخله إلى أن تظهر بالمصادفة أو تموت من دون أن يشعر بوجودها أحد. وقد ينتهي أمر الموهبة تمامًا ولا يستفيد منها صاحبها قيد أنملة على الرغم من أنها قادرة على أن تجعل صاحبها من أسعد الناس، وقد يمتد ذلك إلى مجتمعه بل العالم بأسره أحيانًا.

لذلك يقال إن أكبر تجمع للمواهب هي المقابر، فقد دفنت مع أصحابها، فهذا صحيح، فكم من المواهب ظهرت وظهر تأثيرها وكم لم يظهر ودفن مع أصحابه تحت الثرى أو تحت وطأة الحياة والضغوط الاجتماعية، فما بالك بالمواهب الجوهرية أو الضمنية الخفية ؟

ثالثًا: الشاذة الخارقة أو النادرة؛ وهي تلك النوعية النادرة جدا، والتي إذا ما سمعت عنها فإما أن تضحك وتسخر وإما أن تُكذب وتسخر أيضًا، ولكن -كما يقول صاحب نظرية هذه النوعية من المواهب- قد تبتعد فكرة السخرية قليلاً إذا ما علمت أن الولايات المتحدة تُنفق مئات الملايين من الدولارات سنويا على برامج سرية هدفها دراسة تلك المواهب والقدرات الإنسانية الخارقة، ومعرفة كيفية الاستفادة العملية من تلك المواهب الخارقة لبعض الأشخاص وخاصة في مجال الحرب والتجسس مثل القدرة على قراءة الملفات السرية من مسافات بعيدة جدًا، والقدرة على تحديد المواقع الحربية مثل الغواصات النووية في أعماق البحار، وتفجير الصواريخ الموجهة أثناء تحليقها عن طريق القوى العقلية.

وكذلك التخاطر أي بمعنى اتصال عقل بآخر عن بعد أو الاستبصار أي القدرة على رؤية الأشياء التي تقع خارج مجال البصر كأن يرى إنسان في الولايات المتحدة ما يحدث في العراق، وقيل إن هذا حدث بالفعل وقت الحرب، أو ما يعرف بالسايكوكينيسيس أي تغيير حالة شيء ما عن طريق القوى العقلية.

عمومًا، هذا الموضوع لا نريد الخوض فيه الآن، وربما يكون لنا لقاء خاص لنتحدث عن هذه النوعية من المواهب وخاصة إن وجدنا المراجع التي تؤكد ذلك أو تنفيه.

والذي يهمنا من المواهب النوع الأول والثاني، وكيفية اكتشافهما وتنميتها، من خلال المدارس والمنازل والبيئة المحيطة.

ونستمر في الحديث عن المواهب في الأسابيع القادمة.